المحتاجين الى مساعدته وتضيف بها جميع الاعمال النافعة . وكان جلّ اهتمامه بالذين لا يهتم بهم المحسنون عادةً . فقد جرت عادة المحسنين ان يتصدقوا باموالهم على المساكين وينفقوا منها على مدارس الصغار وهو جارام في ذلك ولكنهُ انفق الجانب الاكبر من هباته في مساعدة الاغنياء الذين يفتقرون وفي انشاء المدارس العالية وبناء المعابد . ومن اعماله انهُ انشأ داراً للنساء اللواتي كنّ في بسطة من العيش ثم اخنى عليهنّ الدهر بفقد ازواجهنّ او اولادهنّ فتنقص عيشهنّ وصرن الى المعونة احوج من المساكين الذين اعتادوا على الفاقة . وانشأ ايضاً داراً للصوَر والتحف جمع فيها من انفس صور الارض وتحفها لكي يهذب بها الذوق وتسمو العواطف فادرك غاية مناهُ وافاد ابناء جلدته وابقى لهُ اسماً يذكر ولو نسيت اسماء الملوك والعظماء

واذا الكريم مضى وولى عمرهُ كفل الثناء لهُ بعمر ثان

الابحاث اللغوية والقضايا التاريخية (١)

لجناب العلّامة الاستاذ سايس رئيس الجمعية الانثروبولوجية

ان مرادي من هذه الخطبة تحويل الاذهان الى علم اللغات (٢) والدلائل التي نستدلها منهُ لمعرفة تاريخ البشر وارتقائهم في مراتب الحضارة والكمال . لان اللغة هي المرآة التي ترتسم عليها افكار الناس واميالهم او الجسوم التي تجسم بها افكارهم واميالهم ولذلك كانت هي واسطتنا الى معرفة القليل الذي نعرفهُ مما يدور في الضمائر . فهي واسطة التفاهم بين ابناء الزمان الواحد والمحافظة لافكار السالفين واميالهم وعقائدهم في مفرداتها . ولذلك كانت مفردات اللغة عند اللغوي بمثابة الاحافير المتضمنة في صخور الارض عند الجيولوجي فتلك بقايا ما مرّ من الافكار والاميال والعقائد وهذه بقايا ما عاش على الارض من نبات وحيوان

غير انهُ يجب الحذر من تنزيل اللغة غير منزلتها والاعتصام بها في ما لا تصلح لهُ اذ لا يخفى

(١) وهي مقتطفة من خطبة الرئاسة التي خطبها بالانكليزية على الجمعية الانثروبولوجية احدى شعب المجمع العلمي البريطاني حين اجتماعهِ في شهر ايلول (سبتمبر) ١٨٨٧ وقد علقنا عليها من الحواشي ما تكمل به الفائدة ويجلي المراد لانها من الخطب الرنانة التي كان لها في النوادي الاوربية وقع عظيم

(٢) ليس المراد من علم اللغات هنا ما يتبادر الى الفهم من حفظ مفردات اللغات وقواعدها قصد التكلم والكتابة بها وانما المراد بهِ النظر في مفردات اللغات وقواعدها لمقابلتها بعضها ببعض ومعرفة وجوه المشابهة والاختلاف بينها ورد المفردات الى اصولها ونحو ذلك وهو المعروف عند الافرنج بالفيلولوجيا وترى فيهِ فصولاً في السنة العاشرة والحادية عشرة من المقتطف

انها من لوازم البشر فتلازم عن اجتماع كل طائفة من الناس يعيشون معًا ويشتركون في الحاجات والمطالب . وهي اشهر جامع يجمع افراد القبيل الذي يتكلم بها . فاذا تغير القبيل وانتسخت حالة وذاته بغلب قبيل آخر له او باختلاط نسبي بنسبه او بنحو ذلك من الاسباب التي تنتهي الى تغير حاله وزوال ذاته تغيرت لغته ايضًا تبعًا له . ولكن تغيُّر حال الافراد لا يغيِّرها فاذا رحل العربيُّ عن قومه وسكن بين قوم من الاعاجم الذين يجهلون لغة ترك لغته وتكلم بلغتهم ولكن استبداله العربية بلغة اعجمية لم يمنع العربية من الوجود ولم يستلزم كونه اعجميَّ الاصل . ولما كانت اللغة من خصائص القبيل وليس من خصائص افراده كان اغفال ذلك مما يؤدي الى الخلل والخطاء وقد وقع فيهما الذين اتخذوا اللغة دليلهم الوحيد الى معرفة اصناف البشر[٣] فصاروا يعينون صنف الانسان من اللغة التي يتكلم بها كما فعل علماء اللغات لما وجدوا اللغة السنسكريتية (التي هي لغة الهنود القدماء) من فصيلة اللغات الاوربية فانهم حكموا بكون الهندي الشديد السمرة من صنف الصقلبي الشديد الشقرة . وكم من مؤلف يحاول اليوم ان يعيِّن اصناف القبائل الافريقية من اللغات التي يتكلمون بها كأن اللغة والصنف امران متكافئان

وهذا خطاء كثير الشيوع في زماننا فلا يسوغ الاغضاء عنه لاسيما وان الحقائق المنافية له متوفرة . فنحن الانكليز نتكلم جميعًا بلسان واحد وهو الجامع بيننا ولكن المؤرخين والفاحصين للجامع يشهدون جميعًا ان الدم الجاري في عروقنا حاصل من اختلاط شعوب شتى في النسب كالكلتيين والتوتونيين والسكندناويين[٤] والرومانيين الذين تحاربوا على بلادنا هذه ازمانًا وغلبها كلٌّ منهم في دوره . وقبلهم وقبل الزمان المسطور في تواريخ البشر كان اجيال اخرى من الناس وقد تقاتلوا وتحاربوا واختلطوا معًا في بلادنا كما يشهد العارفون بآثارهم العالمون بالعاديات (الارخيولوجيون) . وامَّة اليهود تفرقت في الارض وخالطت الشعوب والقبائل

(٣) ذهب العلماء مذاهب عديدة في تعيين اصناف البشر فمنهم من قال ان اللون احسن دليل الى ذلك فجعل البيض صنفًا والسود صنفًا وهكذا . ومنهم من قال ان الشعر احسن دليل فجعل السبط الشعور صنفًا والغطاط الشعور كالزنوج آخر وهكذا . ومنهم من جعل اللغة دليل الصنف . ومنهم الجمجمة . ومنهم الموطن الى غير ذلك وعلى ذلك تجد اصناف الناس عند بعضهم اثنين وعند آخرين ثلاثة او اربعة او خمسة حتى اوصلها البعض الى ثلاثة وستين

(٤) الكلتيون جيلٌ من الناس كانوا يسكنون اواسط اوربا وغربيها قديمًا . ومن نسلهم اليوم اهل ارلاندا وويلس والهيلندر في اسكتلاندا واهل سواحل فرنسا الشمالية . والتوتونيون سكان جرمانيا القدماء ومنهم اهل سكندناوية الحديثة وتشتمل على مملكتي اسوج ونروج والجانب الشمالي من دنمرك

وصارت تتكلم بالسنتهم بل صار بعضهم يعدُّ لغةً من اللغات الاسبانية القديمة لغتهم المقدسة . وهم مع ذلك يهود وشعبٌ خاصٌّ مختلف عن الشعوب الأخرى التي يتكلمون بالسنتها

غير ان وجوب الحذر في اتخاذ اللغة دليلاً على الصنف لا يمنع جواز اتخاذها دليلاً عليهِ في بعض الاحوال اذ هي الدليل المعوَّل عليهِ على اتصال الشعوب بعضها ببعض واختلاطها معاً . وهذا الاختلاط في المعاملة والمعاشرة لا يخلو من اختلاط في النسب ايضاً كما لما اختلط اهل ويلس بالانكليز فان انسابهم اختلطت وشاع التزاوج بينهم حتى انهُ لما وُضعت العقوبات لمنع هذا التزاوج لم يمتنعوا عنهُ تمام الامتناع . ولما اختلط سود افريقية ببيض الولايات المتحدة وقع التزاوج بينهم مع شدة نفور الابيض من الاسود كما هو معلوم . ولكن الولد يرثون صفات احد الزوجين (اي ابواهما غالباً) من طبيعية وادبية فتبقى صفات صنفٍ واحدٍ من الصنفين محفوظة في الاجناب دون الصنف الآخر . وقد يرث الاولاد الصفات الطبيعية من احد الزوجين والادبية من الآخر ومع ذلك تبقى صفات الصنف ثابتةً ثبوتاً غريباً فيهم وهي اشارة الى صعوبة تغير الصنف وانتساخ صفاته

فهنا يظهر الفرق واضحاً بين خصائص الصنف واللغة فالصنف تبقى خصائصهُ وصفاتهُ ثابتة لا تكاد تزول ولا تمحى على توالي الاجناب والايام ولا يستطيع الواحد من الناس التخلص منها والاتصاف بغيرها واما اللغة فتتغير تغير امواج البحر في افواه المتكلمين بها ويستطيع الانسان الواحد ان يخلعها عنهُ ويلتبس غيرها كما يخلع عنهُ ثوباً ويكتسي بآخر . انظروا الى الآثار المصرية القديمة الباقية من اكثر من اربعة آلاف سنة تروا عليها صور الليبيين وهم شقر الالوان كالوان القبائل (٥) في هذه الايام فعلى قبر رخمعرا الملك الثبي الذي عاش في القرن السادس عشر قبل الميلاد صورٌ مبرقشة بالالوان فالزنجي منها اسود اللون والسوري اسمرُ والمصري احمرُ وكلٌّ منهم مستكمل للصفات والخصائص التي يمتاز بها شعبهُ في زماننا هذا . وانظروا الى تمثال شيخ البلد الخشبي المنصوب الآن في دار الخف ببولاق تجدوا عليهِ الهيئة المصرية الخصوصية التي لا تزال ترى على كثيرين من الفلاحين المصريين في ايامنا هذه مع ان التمثال المذكور قد خرط منذ ستة آلاف سنة من الزمان فخصائص الصنف ثابتة في المصريين منذ ذلك الزمان واما لغتهم القديمة فقد ماتت وبطل التكلم بها منذ زمانٍ طويل وكذلك اللغة القبطية التي دارت على السنتهم بعد تلك ايضاً

(٥) الليبيون هم سكان ليبية وكانت تطلق على البلدان التي في شمال افريقية ومنها الصحراء او صحراء ليبية والقبائل هم سكان جبال اطلس في الجزائر ومراكش واشهرهم بنو عباس

والسبب في بقاء خصائص الصنف على حالها منذ بدء زمان التاريخ الى الآن وسرعة تغير اللغات بالنسبة اليها هو على ما أرى ان البشر اكتسبوا تلك الخصائص قصاروا اصنافاً قبل ان تشعّبت لغتهم التي كانوا يتكلمون بها الى لغات مختلفة. او صاروا اصنافاً ممتازة قبلما انحل قيد لسانهم وصاروا خلائق ناطقة بازمان طوال. واذا صح استدلال الموسيو مورتله — وهو ان فقد العظمة التي يندغم بها اصل اللسان من الجمجمة القديمة التي وُجدت في لانولت[٦] انما كان لخلو الانسان من قوة النطق حينئذٍ — كان ذلك دليلاً لنا على ان صنفاً من اصناف البشر سكن اوربا قبل ان يصير البشر حيوانات ناطقة

غير ان قولنا بكون اللغة سريعة التغير لا يفيد ان هذا هو شأنها في كل حال والواقع انها قد تبقى على حالٍ واحدة ازماناً طويلة جداً. كاللغات السامية[٧] مثلاً فانها باقية عند عرب البادية كما كانت عليه في اللفظ والتركيب عندما نقشها البابليون الساميون على الآثار الباقية عنهم من خمسة آلاف سنة ولم يطرأ عليها الاَّ تغير طفيف لا يكاد يعبأ به. واللغة المصرية القديمة بلغت من الاتساع والارتقاء في الكمال غاية بعيدة حتى كتبت بها علوم المصريين ومعارفهم ودخلت طور الوقوف والانحطاط قبلما نقشت النقوش البابلية المشار اليها بالف سنة فاذا اعتبرنا ذلك (وعلمنا ان اللغات تنشأ وتنمو وترتقي كالطفل على توالي الزمان) حكمنا انها لم توجد منذ اقل من عشرة آلاف سنة قبل الميلاد. وهذه اللغة هي شقيقة ام اللغات السامية كلها على الارجح. ومن النظر في لغات الاجيال والشعوب نجد آثار اللغات الاصلية التي اشتقت منها ظاهرة عليها بل ان بعضها كلغات البشمن من سكان استراليا الاصليين لا يزال حافظاً للطبيعة التي كانت على لسان الانسان قبل ان يفصح في نطقه. وبعضها كلغات الاسكيمو في شمالي اوربا واميركا وقبائل الازتك في اميركا لا يزال تركيب جملها على غاية السذاجة. مضاهياً ولا بد لتركيب الانسان للجُمل في بدء نطقه. وكلها اذا جرّدنا مزيدها

(٦) هذه الجمجمة من مثال جمجمة نيندرتال التي تعدُّ ادنى من جماجم البشر في زماننا ويظنُّ ان الناس كانوا في زمانها اقرب الى الحيوانات العجم من اهل هذا الزمان. تجد وجه ٤٢٨ وما بعده من السنة الحادية عشرة من المقتطف مقالة في هذه الجماجم واوصاف اصحابها عسى ان نجد رجلاً نرّ عليها

(٧) قسم علماء اللغات اشهر لغات الارض بحسب مشابهتها في اللفظ والتركيب ونحوها الى فصائل او طوائف منها طائفة اللغات السامية وتشمل العبرية والعبرانية والسريانية والكلدانية والحبشية. وطائفة اللغات الآرية او الهندية الاوربية وتشمل اللغة السنسكريتية او لغة الهنود القديمة والايرانية (لغات البكتريين والفرس القديمة) واغلب الارمن واكثر اللغات الاوربية من قديمة وحديثة. وطائفة اللغات الطورية وتشمل التترية والتركية والمجرية وغيرها. وهذا جلُّ ما يهمنا ذكرهُ

عن اصولها وجدنا ما بعد الاصول حكاية الاصوات الطبيعية التي كان الانسان يسمعها فيقلدها عند انطلاق لسانه من قيد العجمة او الاصوات التي كان الانسان يقاد بالفطرة والسليقة الى التلفظ بها للتعبير عن امياله وخواطره وانفعالاته . فدلائل هذه الامور لا تزال واضحة على وجه اللغات مشيرة الى بدء الزمان الذي صار فيه النطق بالكلام مقدوراً للانسان . وقد حسبت طول هذا الزمان مرة فوجدته بين ثلثين واربعين الف سنة . وقبلها لم يكن الانسان يقدر على الكلام ولكن كان يقدر على غيره مثل رسم الصور فقد وجدوا بين آثار القدماء صوراً على العظام والقرون (٨) رسمها قبل ان يستطيع النطق بازمان . وعليه كان الانسان حيواناً مصوراً قبلما صار حيواناً ناطقاً

ثم ان المستر هيل ذهب مذهباً بديعاً في هذه الانباء ليبان السبب في انقسام لغات الارض كلها الى طوائف او فصائل ممتازة لا علاقة بين الواحدة منها والاخرى على ما يظهر . فانه شاهد اطفالاً من اولاد المتمدنين ينطقون بلغات استنبطوها بانفسهم دون ان يتعلموها من احد غيرهم وابوا ان يبطلوها ويتكلموا بلغة من حولهم حتى كبروا وحينئذٍ ابطلوها وعادوا الى لغة قومهم . وعنده انهم لم يبطلوها الا لانهم كانوا بين اناس متمدنين ينطقون جميعاً بلغة مختلفة عن لغتهم ولكن لو كانوا بين قوم غير متمدنين لامكن ان تبقى لغتهم هذه طول حياتهم ويعلمها غيرهم منهم ويرثها اولادهم بعدهم ثم تمر على مرور الزمان وتتعدد فيها اللهجات كما هو شأن كل لغة من اللغات ولا تزال هذه اللهجات تتباعد شيئاً فشيئاً حتى تصير لغات مختلفة لا يتبين ما بينها من القرابة والمشابهة الا بعد اعمال النظر . فيحصل من هذه اللغة الجديدة طائفة لغات متشابهة ومرتبطة معاً لكنها مستقلة عن غيرها وليس لها مشابهة به . وكذا حصلت طائفة اللغات السامية وطائفة اللغات الآرية وغيرها من طوائف اللغات في مذهبه . على ان هذا المذهب لا يقتضي ما لم يبين صاحبه ان الالفاظ التي استنبطها اولئك الاطفال لم تكن صدى ما سمعوه من كلام الذين حولهم والا فان كانت صداه لم يعبأ بها لان علاقتها بلغة قومهم تكون اعظم من العلاقة التي نجدها بين طوائف اللغات . فلا تعتبر طائفة مستقلة برأسها

وهذا يفتح لنا باباً الكلام على طائفتين من اشهر طوائف اللغات وهما لغات اوربا المعروفة بالآرية ولغات غربي اسيا المعروفة بالسامية . فاللغات السامية تتم تغيراتها الصرفية والنحوية بتغيير الحركات على كلماتها واصولها ثلاثية الحروف بخلاف اللغات الآرية فان تغيراتها الصرفية والنحوية تكون بالحاق الحروف الزائدة باواخرها واصولها مختلفة في عدد الحروف والمقاطع .

(٨) نجد وصف احدى هذه الصور ورسمها وجه ٧٠٧ من السنة السابعة من المقتطف

نعم ان اللغات السامية قد تتغير بالحاق الحروف باواخرها واللغات الآرية بتغيير حروف العلة (الموافقة للحركات) فيها ولكن ذلك يكون على وجه الخصوص واما الاختلاف المذكور بينها فعلى وجه العموم . وبينها اختلاف واضح في اصوات الحروف ايضاً (فقد يوجد في اللغات السامية اصوات لا وجود لما في الآرية كالعين والحاء مثلاً) وفي المفردات وتركيب الجمل كما هو معلوم . ولهذه الاختلافات أرى ان الذين يحاولون ان يشتقوا هاتين الطائفتين من اصل واحد لا يفلحون وقد كانوا يحاولون ذلك بناء على ان اللغة والصنف متكافئان فيقولون ان الآريين والساميين من الصنف الابيض فيلزم ان تكون لغتهم في الاصل واحدة . ومما يعزز هذه النتيجة عندهم اتفاق العلماء على ان الساميين والآريين الاصليين كانوا يقطنون غربي اسيا ومن هناك تفرقوا على بقية اماكنهم . فلهذه المجاورة يغلب على الظن انهم كانوا قديماً يتكلمون بلسان واحد ثم تشعبت السنتهم كلها منذ لاسيا وانهم جميعاً من الصنف الابيض ولغاتهم هي اللغات المتصرفة . وعلى هذا الاتفاق والقياس الذي بنوهُ عليهِ حكموا انهم اذا دققوا البحث في تلك اللغات وجدوا فيها آثاراً تدل على وحدة اصلها كلها

اقول ان ذلك كله يصح لو ثبت اتفاق العلماء على موطن الساميين والاريين الاوّل ولكنهم غير متفقين الآن على ذلك . اما موطن الساميين واللغات السامية فقد ثبت انهُ في الجانب الغربي من اسيا ولم يبقَ فيهِ منازع واما موطن الاريين واللغات الآرية فقد تغيرت آراء العلماء واللغويين فيهِ منذ بضع سنين ويرى كثيرون منهم اليوم انهُ لم يكن في اسيا بل في اوربا والجانب الشمالي الشرقي منها . والذي حملهم على استبدال رايهم الاول بهذا الرأي الأخير هو عدم مطابقة ادلتهم على الرأي الاوّل لما قد عرف وتقرر . واشهر هذه الادلة زعم اللغويين منهم ان اللغة السنسكريتية اقرب من سائر اللغات الآرية الى اللغة الاصلية التي اشتقت كلها منها بدعوى ان صرفها ونحوها واصوات حروفها اقدم واعرق مما في اخواتها من اللغات الارية . ويلزم عن هذا الزعم ان يكون الهنود المتكلمون بها اقرب من سائر المتكلمين باللغات الارية الى موطنهم الاصلي وان يكون ارتحالهم قصيراً وتغيرهم وتغير لغتهم اقل من تغير سائر اللغات الارية والمتكلمين بها . وبعد النظر في كلمات هذه اللغات وجدوا ما يدلهم على ان الذين تكلموا باللغة الارية الاصلية كانوا يسكنون بلاداً باردة فقالوا ان تلك البلاد كانت في احاديد هندكوش عند منبع نهر سيحون ونهر جيحون

واما اليوم فالادلة اللغوية تدل على ان اللغة السنسكريتية ليست اقرب من سواها الى

اللغة الاصلية بل ان اليونانية واللتوانية التي لا يزال فلاحو لتوانيا (في بولاندا) يتكلمون بها الى هذا العهد هما اقرب منها الى اللغة الاصلية . ثم ان كان اقرب اللغات الى اللغة الاصلية هي ايضاً اقربها موطناً الى موطنها الاصلي لزم ان نبحث عن وطن الآريين الاصلي في جوار لتوانيا باوربا وليس في جوار الهند باسيا . ومما يعزز به هذا القول وجود كلمات متشابهة لفظاً ومعنًى في اللغات الآرية الاسيوية والاوربية استفادتها من اللغة الاصلية رأساً ولم تستعرها الواحدة من الاخرى كالبرش (٩) مثلاً فانها موجودة في اللغة السنسكريتية واللغات التوتونية باوربا بينهما وبين الهند بلاد اللغة السنسكريتية مسافة طويلة وشقة نائية فلا يقبل العقل ان يكون اهل البلاد الواحدة قد استعار وها من اهل البلاد الاخرى فهي اذاً منتسبة من اللغة الاصلية التي كان الآريون الاولون يتكلمون بها قبل تشعب لغتهم الى لغات عديدة . ولما كان هذا الشجر لا ينبت في ارض باردة تعيّن ان يكون موطن الاقوام الذين عرفوهُ وسمّوهُ باسمهِ باردًا ايضاً . وفي اوربا ينبت البرش غربي خطٍّ مرسوم من كونكسبرج الى الفرم ولا ينبت شرقيَّهُ فان كان موطن الآريين الاول فيها تعيّن ان يكون غربي هذا الخط ايضاً

وقد بحث الاستاذ أطو شرادر منذ اربع سنوات في مفردات اللغات الآرية فاستنتج منها ان الذين كانوا يتكلمون باللغة الآرية الاصلية كانت بلادهم باردة كما هو مسلَّم وكان زمانهم العصر المجري (١٠) وملبسهم جلد الوحوش وفروها واسلحتهم الحجارة والظرّان ودرجتهم من العلم والمعارف والرفاهة مناسبة لملبسهم وسلاحهم وان تدقيقهم في مراعاة النسب والكلمات الكثيرة الموضوعة للدلالة على تفاوت صلة الرحم في القرب والبعد لا تخذ دليلاً على ارتقائهم في مراتب الاجتماع الانساني كما كانوا يزعمون بل على انحطاطهم فيها . وكان لهم معرفة باضرام النار وخرز الجلود التي يلبسونها بشظايا العظام والغزل القليل الجاني ولم يكن لهم معرفة بغير ذلك من الصنائع واما ما يوجد بين بقاياهم من الحلى الذهبية والحديدية فانما هو قطع من الذهب والحديد النيزكي التقطوها من الارض وتحلوا بها ولم يكونوا يعرفون صناعة استخراج المعادن ولا صوغها . وكان لهم معرفة يسيرة بالزراعة ولكنهم لم يعرفوا طحن الحبوب ولذلك كانوا يرضونها

(٩) العرش اسم شجر من الفصيلة التفطية يكبر ويعلو حتى يبلغ طول سوقهِ ستين قدماً

(١٠) يقسم الزمان الذي مرَّ على الانسان من اول وجودهِ انساناً الى اليوم الى قسمين عظيمين زمان قبل التاريخ وزمان تاريخي ويبتدئ من اوَّل استنباط الانسان للكتابة وحفظهِ اخبارهُ بها . واما الزمان الذي قبل التاريخ فينقسم الى ثلثة اعصر العصر الحجري وفيهِ كانت ادوات الناس من الظران وحجارة الصوان ونحوها وهو اما قديم او حديث . والعصر البرونزي او النحاسي وفيهِ كانت ادواتهم من البرونز او النحاس المفسى . والعصر الحديدي وهو الذي ابتدأوا فيهِ باستعمال ادوات الحديد

رضًا ويقتاتون برضاضها . واعلمهم من القبائل الرحّل التي تعيش برعاية المواشي وتربية الانعام وتبتني لها اكواخًا من الطين في البقاع التي تحتلها . وكانوا يعرفون العدد من الواحد الى المئة ويجهلون ما فوقها ويعتقدون بالارواح والعفاريت ويقرّبون القرابين للموتى ويؤلّهون الجوّ

هذا في ما يتعلق بزمان الآريين الاولين ومكانهم ومعارفهم وصنائعهم ومعتقداتهم واما اوصاف الصنف الذي هم منهُ فقد بحث عنها الدكتور بنكا النمسوي وألّف فيها كتابًا في اواخر العام الماضي (١٨٨٦) أيّد فيهِ ما كان قد ذهب اليهِ قبل تأليفهِ وهو ان الآريين الاولين كانوا صنفًا شقر الشعور زرق العيون بيض الابدان جماجمهم تزيد طولاً من الامام الى الخلف عمّا هي من جانبٍ الى جانب كجماجم الزنوج . وان هذا الصنف باقٍ في اسكندناوية بكل اوصافهِ الى يومنا هذا . وانهُ هو الذي انتشر من تلك النواحي جنوبًا في العصر الحجري الجديد واخضع القبائل والشعوب التي لقيها في طريقهِ وغلّب عليها لغتهُ بلهجاتها التي انسحبت وارتقت حتى صارت لغات قائمة بنفسها هي اللغات الآرية . وانهُ هو الذي كان يسكن غربي اوربا واواسطها في العصر الحجري القديم وقد بقيت جماجم موتاهُ فيها وبينها جماجم كسنت وانجس وغيرها (١١) وان بياض جلدهِ وشقرة شعرهِ حصلا من طول اقامتهِ في اوربا في العصر الحجري القديم وكان بردها حينئذٍ شديدًا كبرد الاصقاع الشمالية . وقد قال الدكتور بنكي سنة ١٨٧٨ ان بياضهم حصل من تأثير هواء السباخ الروسية فيهم لزعمهِ ان تلك السباخ في عهد الصنف الآري الابيض

فهذا ما أدّى اليهِ بحث الدكتور بنكا المذكور ولا ينكر ان كل المرجحات العادية توافق رأيهُ في اشهر القضايا وتؤيّد النتيجة التي وصل اليها وهي ان الآريين الاولين هم اجداد اهل اسوج ونروج وشمالي دنمرك الحاليين . وتوافقهُ ايضًا الشواهد التاريخية فالكتبة الاوربيون المتقدمون يشهدون ان الكلتيين الذين لغاتهم آريّة كانوا في زمان المسيح وما بعدهُ اناسًا طوال القامة زرق العيون شقر الشعور كسائر التوتونيين وليسوا قصار الاطراف سمر الالوان كسكان فرنسا في هذه الايام . والمصوّرون والنحاتون اليونانيون والابطاليون كانوا يعدون شقرة الشعر وزرقة العيون في منتهى الجمال ولذلك جعلوا ابولون رب الجمال اشقر الشعر واثينا ربّة الحسن زرقاء العينين . وفي الازمان التالية لذلك حمل اهل اسكندناوية على اوربا فدوخوها واثخنوا فيها حتى بلغوا البحر المتوسط ودخلوا اسيا فادرك الكلتيون اسيا الصغرى وقهر الجرمانيون المملكة الرومانية وتملك اهالي الشمال البلاد من روسيا شرقًا

(١١) هذه هي الجماجم التي قلنا في الشرح آنفًا انها ادنى من الجماجم في زماننا هذا

الى ايسلاندا وكريتلاندا غربًا وامتلك النورمانيون سويسرا . غير ان نزول السكندناويين جنوبًا في المرة الاولى السابقة لزمان التاريخ كان برًّا بجانب الانهر العظام لجهلهم الشراع واستعمالهُ واما في المرة الاخيرة فكان بحرًا لتعلمهم استعمال الشراع من الرومانيين

فاذا ثبت ما تقدم وهو ان اسكندناوية الجنوبية هي موطن اللغات الآرية وان الصنف الآري الاصلي كان كالسكندناويين الحاليين هيئة ولونًا وجب ان تكون الشعوب القريبة لذلك الموطن الآن خالصة من شوائب الاختلاط صنفًا ولغة او ان تكاد تكون خالصة منها وان تكون الشعوب النائية عنهُ جنوبًا وشرقًا قليلة الخلوص كثيرة الشوائب لما خالطها من اصناف الامم الغريبة ولغاتهم . وهذا هو الواقع فاهل شمالي اوربا القريبون من الموطن الاصلي اقل اختلاطًا في صنفهم ولغاتهم من البعيدين عنهُ كاليونان والارمن والفرس والهنود. اما اليونان فقد بحث المستر وطن عن اصول مفردات لغتهم فوجد انهُ من ٢٧٤٠ مادة لا يوجد الاَّ ١٥٨٠ مادة يرجَّح انها آرية الاصل والبقية غريبة . وليس من يجهل ان هيئة المتقدمين والمتأخرين منهم غير آرية. وعندي ان اليونان الذين بلغوا درجة رفيعة من التمدن قبل زمان التاريخ كما يستدل من خرائب ميكيني وتيرينس وغيرها من العاديات السابقة لعهد التاريخ لم يكونوا من الهلانيين بل من غيرهم . وان الآريين الذين ظهروا في هلاس ومنهم الهلانيون اتوا بلاد اليونان ايام المهاجرة الدورية[١٢] . واما الارمن المتكلمون الآرية فقد تقرَّر من الكتابات المسمارية انهم دخلوا بلاد الارمن في القرن السابع قبل الميلاد وقد اثبت اللغويون المتأخرون ما ذكرهُ الكتَّاب اليونانيون عنهم وهو ان اصل الارمن قوم هاجروا من فريجية واصل الفريجيين قوم هاجروا من ثراكي[١٣] ويتضح من الكتابات الاشورية ان الآريين لم يدخلوا ما بين جبال الاكراد شرقًا وهاليس غربًا قبل انتهاء المملكة الاشورية . واما الهنود فمشهور انهم دخلوا بلادهم من الشمال الغربي ولم يستطيعوا ان يوغلوا في مفاوزها جنوبًا وتاريخ دخولهم اليها مجهول ولا اظن انهُ كان قبل القرن الثامن او السابع قبل المسيح

هذا من قبيل انتشار الصنف الآري على اوربا ودخولهُ اسيا في زمان غير قديم ومما يحسن سوقهُ هنا ان هذا الصنف او صنفًا يضاهيهِ انتشر على سواحل افريقية الشمالية في الازمان السالفة . ومن الادلة على ذلك ان القبائل الليبيَّة المصوَّرة على الآثار المصرية منذ

(١٢) الدوريون شعب من شعوب اليونان الاربعة الاصلية

(١٣) فريجية بلاد في برّ الاناضول وثراكي قسم من بلاد الدولة العلية في اوربا

الف وست مئة سنة قبل الميلاد كانوا بيض الابدان ولا يزال نسلهم ابيض الى يومنا هذا في جبال تلك السواحل ويعرف في بلاد الجزائر بالقبائل . وقد شاهدت كثيرين منهم في الشتاء الماضي وعجبت من زرقة عيونهم وشقرة شعورهم وبياض ابدانهم البتق الشفاف مع اني كنت اعلم ذلك عنهم قبل مشاهدتهم . وبياضهم كبياض الكلتيين الحمر في ارلاندا وغيرها وجماجمهم تزيد طولاً من الامام الى الوراء عنها من جانب الى جانب ومدافن الاولين منهم تشبه في هيئتها وبنائها المدافن القديمة في اسبانيا وغربي فرنسا حتى تصل الى شمالي بريطانيا وهذه المدافن الاوربية تحتوي جماجم كجماجم اجداد القبائل المار وصفها . ثم ان القبائل يشبهون الارلنديين المعروفين بالكلتيين الحمر في اوصافهم الطبيعية وقد تقدم ان جماجم الاولين منهم ومدافنهم متشابهة فيستنتج من ذلك انهم جميعاً من صنف واحد انتشر قديماً من ارلاندا واسكتلاندا حتى بلغ شمالي افريقية ودفن موتاه في مدافن مبنية من خمسة احجار كبيرة واستمر ذلك من العصر الحجري الجديد الى العصر البرنزي

وليس لنا لبيان اصلهم الاّ وجه من وجهين الاول انه لما هاجر الآريون من وطنهم الاصلي في شمالي اوربا ذهب بعضهم غرباً ونزلوا جنوباً على محاذاة حدود اوربا الغربية حتى اتوا جبل طارق فعبروا منه وتملكوا افريقية . والآخر ان الصنف الآري كان نسبياً لصنف آخر في الدم دون اللغة وكان هو يسكن جنوبي اسكندناوية ونسبه اقاصي المغرب باوربا ثم ارتحل (نسبه) جنوباً في العصر الجليدي حتى اتى سواحل افريقية وهذا الوجه الثاني محتمل اذ لون القبائل ليس مثل لون السكندناويين تماماً بل الواحد شفاف والآخر دقيق ويمكن ان يكون تطاول الجماجم فيهم مختلفاً والله يعلم بذلك بطول البحث ودقة القياس والله اعلم

كلاب هنت برنارد

تربى هذه الكلاب في قنن جبال الپا لتنجي المسافرين الذين يشرفون على الهلاك بتراكم الثلوج . وقد حدث في اواخر نوفمبر (ت ٢) الماضي ان كلباً من هذه الكلاب اشار الى صاحبه بما يستدل منه انه شاعر بوجود اناس يحتاجون الى معونته فاقتفى صاحبه اثره والمصباح بيده الى ان وصلا الى رجل ايطالي قد طمرته الثلوج فانتشله وسأله صاحب الكلب عن قصته فقال انه كان مع ابيه واخويه فسبقهم لكي يستصرخ احداً فوقعت عليه الثلوج وفرقت بينه وبينهم ولما قال ذلك تأخر الكلب قليلاً وجعل يبحث عن الرجال حتى وجدهم وقد غطتهم الثلوج وهم على آخر رمق من الحياة . فنجوا كلهم من الموت بهمة هذا الكلب